المضمون والمبنى في نصائح ابن ليون الاندلسي الاخلاقية

أ . م . د . محمود شاكر محمود
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

المقدمة:

ان القيم الاخلاقية انسانية ، عامة بلا تحديد ، ولكن هناك قيما اخلاقية ذات صفات معينة تستاثر بها امم دون اخرى ، بحكم استعدادها الفطري والحضاري ، ومردها الى اختلاف في الفكر والتفكير ، وتفاوت في الفهم والادراك . ففي الوقت الذي تخضع بعض القيم الاخلاقية لعوامل التغيير والتعديل او الاضمحلال؛ بدافع من سير الزمن وتطوره السريع ، فان هناك قيما اخلاقية سواها لايعروها التغيير ، ولا يتناولها التبديل ، ولا يسومها الاضمحلال ؛ كونها ثابتة الاصول راسخة الجذور ، ابدية التاثير في النفوس والعقول .

وهذا البعض الثابت من القيم الاخلاقية يؤثر بالضرورة في سلوك الانسان ، ويشده بقوة الى واقعه المعاش ، بكامل فكره وشعوره ، ويعينه على الترفع عما يشين الى كرامته وعزته ، وياخذ بيده الى الطمانينة والسكينة والفلاح .

ومما تقدم يعد الحفاظ على القيم الاخلاقية الثابتة مسؤولية الجميع ، ولا يختص بها فرد دون اخر ، ولا مجتمع دون سواه ، وقد وعى ابن ليون التجيبي الاندلسي (*) اهمية تلك المحافظة فشرع في توضيحها لابناء عصره وامته من خلال شعره ، منطلقا من خلفيته الاسلامية _ بوصفه فقيها _ التي تنظر الى هذه القيم الاخلاقية بوصفها ((مبادئ وقواعد منظمة للسلوك الانساني فالاخلاق ليست جزءا من نظام الاسلام العام ، بل هي جوهر الاسلام وروحه السارية في جوانبه جميعا)) (1) ، فالفلسفة الاخلاقية تعد اساسا للنظام الاسلامي عموما ، ومصداقه قول الرسول الكريم حينما سئل ((ما الدين ، قال : حسن الخلق)) (2) ، فالانبياء الكرام ما ارسلوا الا لاكمال صرح المنظومة الاخلاقية الهادية للبشرية ، وما كان نبينا محمد خاتما للرسل الا لكون بعثته قد اتمت تلك المنظومة

الاخلاقية ، لقوله الكريم ((انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)) (3) ، فبمبعثه الشريف اكتملت تلك المنظومة الاخلاقية التي عبدت للبشرية جمعاء طريق الحق والفضيلة .

وفضلا عن تلك الخلفية الاسلامية التي انطلق منها التجيبي لتوجيه ابناء جلدته الى المثل الاخلاقية العليا ؛ كانت السنوات الطوال التي قضاها في خدمة القيم الاخلاق وابرازها قد اكسبته خبرة في التعامل مع الناس باختلاف مشاربهم وتنوع صفاتهم (*) . فكان ابن ليون ذلك الشاعر الناصح ، الداعي الى التحلي بالقيم الاخلاقية والانتصار لها ، والحاث على السلوك القويم ، فجاء شعر النصح لديه هادفا الى توجيه الاخرين _ في عصره وما بعده _ نحو الاخلاق الفضلى والصفات العلى ؛ كي يستقيم سلوكهم وتحسن معاملتهم ، حسب رؤية الشاعر ومنطلقاته الثقافية والدينية والاجتماعية ، فضلا عن تجربته الشخصية .

ولابد من توضيح ان شعر النصح يعد من الموضوعات الشعرية المهمة وتكمن اهميته بوصفه بداية موضوعات الشعر ؛ لان ((الشعر يكون في اول امره نصحا وارشادا ومواعظا ، تقوم على اساس التجارب الانسانية العامة)) (4) ، فالشاعر الناصح هو الذي يخاطب الانسانية عامة ويتحرك ضمن الرؤيا الجماعية والتراث المشترك لابناء امته وعصره ، فهو يخدم الانسانية من خلال خدمة قومه ونصحهم ؛ فالانسانية تريد من يأخذ بيدها ويخفف عنها ، ويرود لها الطريق الى حيث الطمأنينة والامان بالاسلوب الذي تفهمه وبالطريقة التي تستوعبها .

فاذا كان الشعر (ضرب من ضروب النشاط البشري الاخرى ، فلابد للشعر من وظيفة) (5) ومن هذه الوظيفة وما تستتبعها من مسؤولية انطلق شاعرنا ابن ليون متحملا اعباء قضايا عصره ، وممدها بعصارة تجاربه وخلاصة ثقافته ؛ من خلال حمله لواء النصح لهم وارشادهم وتهذيب نفوسهم ؛ بتوجيههم نحو الاصلاح والالتزام بالقيم الاخلاقية النبيلة واجتناب الرذيلة .

ولعل من نافلة القول تبيان ارتباط موضوع الوصايا الشعرية بشعر النصح ، وكون الوصية الشعرية تخرج من مشكاة النصح ، فالوصية الشعرية (هي ادب وامر بمعروف ، ونهي عن منكر، وتحذير من زلل، وتبصر بعمل صالح) (6) لذلك ظل (استعمال الوصية مرتبطا بارادة الخير، والتوجيه نحو ماهو واجب من فضائل النفس والسلوك) (7) فلا جدال _ بناء على ما تقدم _ من القول بان الوصية تعد لونا من الوان

النصح ، فالشاعر الموصي يسعى الى ابعاد المجتمع عن حياة الرذيلة الى حياة الفضيلة ، واعطاء صورة للانموذج الانساني القويم ؛ لما تحمله والوصية من قيم اخلاقية ومبادئ سامية ، فضلا عن دلالاتها النفسية والفكرية .

وبعد استقراء شعر ابن ليون النصحي ، اتضح ان التوجيه الارشادي لديه كان متسع الجوانب شمل عددا من الماثر الممدوحة والمأخذ المذمومة ، فاشاد بالاولى ودفع اليها ، وقبح بالاخرى وحذر منها ، فعالج هذه بالتقريع وتلك بالتشجيع ، يدفعه الى ذلك احساسه بوظيفة الشعر لدية ورسالته في توجيه الاخرين نحو الاحسن حسب منطلقاته وقناعاته ، وينبغي ان ننبه الى ان القيم الاخلاقية التي هي عماد شعر النصح لدى ابن ليون لايمكن الفصل بينها دائما في اثناء الحديث عن المضمون ، بل نراها _ في احيان كثيرة _ تجتمع حتى في ابيات المقطوعة الواحدة . لكننا نفردها في هذا البحث لتيسير دراستها وتناولها .

وقد اقتضت طبيعة البحث وحجم المادة المدروسة ان نبوبها في بابين :

الاول : المضمون ، وشمل قسمين : الماثر الممدوحة ، والماخذ المذمومة .

والباب الاخر : المبنى ، وشمل ثلاثة اقسام : المقطوعة ، واساليب الطلب ، والصورة الشعرية .

المضمون :

القسم الاول : الماثر الممدوحه : وتتضمن : الرفق ، والصبر ، والتغافل ، والتواضع

الرفق : ضد العنف والشدة ، يراد به اليسر في الامور ، والسهولة في التوصل اليها . واصل الرفق في اللغة : لين الجانب ولطافة الفعل ، ومن المعاني التي يحملها : اللين واللطف والسهولة واليسر .(8)

وهذه المعاني لها دور مهم في حياة الانسان ، فمن تشربها كانت له لبوس حسن جميل تدل على جمال السريرة واستقامة الذات واعتدال التصرف ؛ ان الرفق ليس مستهدفا للغير في مهمته وتاثيره فحسب ، بل هو يبدا من الذات ليشمل غيرها من الافراد والمجتمعات ؛ رفقا يتجلى فيه اللين ، وتمحى من ساحته الغلظة ، فلا خشونه في التعامل ، ولا جفوة بعد التخاصم . وهكذا يزين الرفق اخلاق المرء وحياته ، بل اخلاق المجتمع كله ، ليسهم مع اخوانه من مكارم الاخلاق في بناء انسان متكامل ومجتمع متين متجانس يسوده الائتلاف والوئام ، وتتجذر فيه عناصر الصلاح . ولاهمية الرفق واللين حث

القران الكريم على اعتماده خيارا مبدئيا في نهج الدعوة الى الاسلام والاخلاق ، فخاطب الله تعالى رسوله الكريم بقوله (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ال عمران / 159 . فلولا هذا الرفق الذي اعتمده الرسول الكريم بتيسير من الله تعالى مع من ارسل اليهم لما تمكن من استقطاب الناس حول دعوته ؛ اذ ان الفضاضة والغلظة المناقضة للرفق واللين اذا ما اعتمدت خيارا منهجيا في الحياة فان مردودهما سيكون عكسيا . فاذا كان هذا حال الرسول الكريم مع الناس ، فالاحرى بنا والاولى ، والرسول الكريم لنا اسوة حسنة ، ان نتعامل مع الناس وفق هذا الخلق العظيم ، فالناس بحاجة الى كنف رحيم ورعاية دائمة وبشاشة سمحة والى ود يسعهم وحلم لايضيق بجهلهم ولا بضعفهم ولا بنقصهم .

وجاءت الاحاديث الشريفة لتؤكد ذلك الحث على الرفق وهذه الدعوة اليه ، من خلال قوله الشريف (الرفق لم يوضع في شيء الا زانه ، ولا نزع من شيء الا شانه) (9) وبهذا التعبير الدقيق للرفق في بعده الفردي والاجتماعي تتوضح اهمية الانفتاح على الاخرين ومداراة عقولهم والانسجام معهم ، من خلال الرفق بهم دون الغلظة عليهم .

وجاءت اشعار التجيبي في الرفق والدعوة اليه خارجه من مشكاة ما تقدم ، فدعا الى الرفق وصحبته كسبيل لراحة الجسد والنفس (10)

خذ الامور برفق واتئـد ابـــــدا ... اياك من عجل يدعو الـــــى وصب
الرفق احسن ماتؤتى الامور بـــه ... يصيب ذو الرفق او ينجو من العطب
من يصحب الرفق يستكمل مطالبه ... كمـــا يشـاء بلا أيــن ولا تعـــب

فاللين والرفق دون العنف والكبر مسلكان لتجنب العذاب والخيبة ، لان الازمات الصعبه والاحوال المتأزمة تستوجب ذلك دون غيره : (11)

لن اذا كانت الامور صعابا ... وتواضع لها تجدها قرابا
لاتكن تاخذ الامور بعنف ... من يعان الامور بالعنف خابا

وسيادة الناس لاتحصل الا بلين الجانب لهم ، والرفق والرحمة بهم ، والتي هي طريق لرحمة الله تعالى :(12)

قساوة المرء من شقائه فاذا ... يلين ساد بلا اين ولا نصب
لايرحم الله الا الراحمين ، فمن ... يرحم ينل رحمة في كل منقلب

ولا يخفى ان الرفق واللين اساسان للمحبة والتعاطف بين الناس ، فضلا عن جلب السماحة والمودة في التعامل ، والبشاشة في الوجوه والابتسامة في الشفاه : (13)

جيء بالسماح اذا ما جئت في غرض ففي العبوس لدى الحاجات تصعيب

سماحة المرء تنبي عن فضيلتـــــــه فلا يكن منك مهما استطعت تقطيب

فسماحة المرء وبشاشة وجهه دعامتان اساسيتان من دعائم الرفق واللين والتي بهما يستجلب النجاح والفلاح : (14)

اسمح يزنك السماح ان السماح رباح

لاتلق الا ببشر فالبشر فيه النجاح

تقطيبك الوجه جد اجل منه المزاح

ولابد من الاشارة الى انه ليس المراد من الرفق واللين ، الذل والهوان فان هذا ضعف وجبن وخور ينهى عنه الدين والخلق ، فغير مطلوب في المواقف كلها رفق ولين ، فقد يتطلب في بعض المواقف شدة وقسوة تحقق المصالح وتدرء المفاسد وتحفظ الكرامة وتعلي الدين . فالتوازن في شخصية الفرد بين اللين والرفق من جهة والشدة والقسوة من جهة اخرى مطلوب ، وان من الحكمة مراعاة كل ظرف بما يناسبه ، والتعامل مع كل حالة بما تقتضيه ، من الاخذ بقوة وشدة او رفق ولين ، بيد ان الاصل في التعامل الاجتماعي يبقى الرفق واللين ، مالم يقع مايقتضي خلاف ذلك .

واجمالا لما مضى : ان الرفق وما يقتضيه من تيسير ولين وسماحة وبشاشة خلق كريم وسمة عظيمة ، حث عليها القران الكريم والحديث الشريف ؛ بوصفها الاصل في التعامل مع النفس والاخرين ، فاكدا على فضيلة الرفق واللين وضرورة التخلق بهما ومجانبة الشدة والغلظة . وجاءت اشعار التجيبي لتؤكد هذا الخلق وتحث عليه ، بالدعوة الى التحلي بالرفق واللين ، بوصفهما السبيل لراحة الجسد والنفس ، وتجنب العذاب والخيبة ، وجلب محبة الناس وسيادتهم ، والنجاح والفلاح

الصبر :

الصبر هو ملكة الاحتمال والثبات، ويعد من الفضائل الخلقية التي يعتصـــم بهـــا الانسان لتخفف من بؤسه، وتدخل الى قلبه السكينة والاطمئنان ، وتكون بلسما لجراحاتـــه التي يتالم منها ولولا الصبر لانهارت نفس الانسان نتيجة البلايا التي تنزل عليه، ولاصبح عاجزا عن السير في ركب الحياة فالصبر في حقيقته حبس النفس عن الجزع ، واللســـان عن الشكوى، والجوارح عن الايذاء (15) ولاهمية الصبر الكبرى امر الله تعالى المؤمنين بالصبر وتكفل المعية معهم ، قائلا: (يايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصـــلوة ان الله

مع الصابرين) البقرة / 153، ولعظم الصبر جمع الله تعالى للصابرين امورا ثلاثة لم يجمعهم لغيرهم ، وهي الصلاة عليهم ، ورحمته لهم وهدايته اياهم ؛ يصدقه قوله تعالى (الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه واولئك هم المهتدون) البقرة / 156-157. وجاءت الاحاديث الشريفة لتؤكد تلك الاهمية الكبيرة للصبر ، والتي جسدها قوله الشريف (لا ايمان لمن لاصبر له) (16) ، فالصبر من الايمان بمنزلة الراس من الجسد .

ومما تقدم يتضح ان الصبر خلق فاضل يمنع به فعل مالا يحسن ومالا يليق ، فهو قوة من قوى النفس التي بالصبر صلاح شانها وقوام امرها ، تجعل الانسان مصروفا الى ما ينفعه ومحجما عما يضره ، ولا توجد فضيلة الا والصبر دعامتها ، فالفضائل الاخرى تحتاج للصبر ، فالحلم هو الصبر على المثيرات ، والكتمان هو الصبر على اذاعة الاسرار ، والرضا والتسليم بقضاء الله تعالى وقدره هو الصبر على قضائه وقدره .

وللصبر لدى الاندلسيين مكانة رفيعة ومنزلة عالية ، ولعل مرجع ذلك الى طبيعة الحياة القلقة التي عاشوها في القرون الاخيرة من حكم الاسلام في الاندلس وما كان يتهددهم من مخاطر _ وقد عاش شاعرنا هذه الحقبه _، دفعتهم الى اللوذ بالصبر على تقلبات الدهر وبلاء الدنيا وفقد الاحباب .

وقد اثر كل ذلك _ ولاريب _ في نصائح ابن ليون ، الذي عاش تلك المحن القاسية وشاهد الاحداث المتلاحقة التي تعرض لها وشعبه الاندلسي ، فراى الناس قد اقتربوا من الياس وجنحوا الى القنوط ؛ لما جرته عليهم هذه الاحداث وتلك المحن من تغييرات في مجرى حياتهم ، نقلتهم من سيء الى اسوء ؛ فدعاهم ابن ليون الى الصبر المقرون بالرضا والتسليم بقضاء الله تعالى وقدره فكان الصبر والرضا سيان لديه . فدعا الى تزيين النفوس بالصبر ، وصقلها بالرضا والتسليم لقضاء الله وقدره ، فنراه يدعو الى لزوم الصبر الذي عاقبته انبلاج ظلمة الكروب (17)

هون عليك خطوب الدهر ان لها نهاية ، والتناهي عنده الفرج
واصبر فان لحسن الصبر عاقبة بصبحها ظلمة المكروب تنبلج

فلا سبيل امام سيل الخطوب المترامية الاطراف الا اللوذ بالصبر ، فهو عنوان لعز النفوس (18)

قوام العيش بالتدبير فاجعل لعيشك منه في الايام قسطا

وخذ بالصبر نفسك فهو عز تلوذ به اذا ما الخطب شطا

وشاعرنا يجعل الصبر سلوانا للنفوس التي اضناها الماضي، والندم عليه وعلى مافات منه :(19)

مافات او كان لاتندم عليه فما يفيد بعد انقضاء الحادث الندم

ارجع الى الصبر تغنم اجره وعسى تسلو به فهو مسلاة ومغتنم

ان الصبر – كما تقدم من نصوص شعرية – يهون على صاحبه ما يلاقيه من اذى الناس وما يواجهه من مصاعب ، ففيه العزاء للقلوب المكلومة ، والشفاء للنفوس الحزينة. فالشاعر يلوذ بالصبر وعدم السخط على النائبات ، فيدعو الى الرضا بالقضاء وعدم السخط : (20)

السخط عند النائبات زيادة في الكرب تنسي مايكون من الفرح

من لم يكن يرضى بما يقضى فيا لله ما اشقى واصعب ما انتهج

والصبر هو صمام الامان ضد الضجر والعناء والتعب من تصاريف القضاء والقدر ، وما تؤول اليه من مصاعب على الفرد ومجتمعه فلا مناص من الصبر والرضا بكل ذلك ، كي ترتاح الابدان وتانس النفوس (21)

لاتضجرن في الامور وارض بما يقضي به الله فهو مكتتب

ماقدر الله لامرد له فما يفيد العناء والتعب

والى المعنى ذاته يجنح الشاعر في نصحه بضرورة التزام الصبر على النوائب والرضا بما يجري ، وعدم الاستعانه بالحيل والتدابير لرد المقدر على الفرد (22)

تجري الامور على الذي قدر قدرا ماحيلة ابدا ترد مقدرا

فارض الذي يجري القضاء به ، ولا تضجر ، فمن عدم الرضا ان تضجرا

لقد امن شاعرنا من خلال نصائحه الاخلاقية في الصبر بتصاريف الباري تعالى في عباده واوصى غيره بحقيقة عدم قدرة اي مخلوق مهما اوتي من سلطان وقوة بطش ان يدفع عن نفسه وغيره قضاء الله تعالى وقدره ، فلا سبيل _ والحال كذلك _ الا اللوذ بالصبر والارتماء في احضانه فهو دعامة الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم له بقلب مطمئن غير ساخط ولا متململ .

التغافل :

التغافل لغة : تعمد الغفلة ، واصطلاحا : تكلف الغفلة مع العلم والادراك لما يتغافل عنه تكرما وترفعا عن سفاسف الامور (23) . فالتغافل بمعنى اخر التغاضي وعدم التركيز على الاخطاء والزلات والهفوات الصغيرة الصادره من الاخرين، مع العلم بها .

ويعد التغافل من الصفات الاخلاقية المهمة ، فقيل تسعة اعشار حسن الخلق في التغافل ، وقيل كذلك ان الكيس العاقل هو الفطن المتغافل ، وقال بعض السلف الصالح : عظمـــوا اقداركم بالتغافل (24) فالتغافل على الاخطاء ليس تاكيدا لها او عدم اهتمام بها ، بل ليس سذاجة ولاغباء ولاضعفا ، بل هو الحكمة بعينها ؛ فالناس جبلوا على الخطا ، ومن الجهل ان ننتظر من الناس ان يفعلوا مانريد ا وان يقولوا مانهوى بل يجب معـــاملتهم معاملـــة واقعية مرنه تاخذ في الحسبان طبيعة الناس التي جبلت على الخطا وتعودت عليه ، لذلك الايمان بهذه المسالة يقتضي ان نتغافل عن الاخطاء مالم تجر مفاسد ، لذلك عد المتغافـــل كيس فطن .

ولعل هذا الذي ذكرناه هو عينه الذي قصده شاعرنا ابن ليون في نصائحه الشعرية التي دعا فيها الناس الى التحلي بخلق التغافل (25)

تغافل في الامور ، لاتكثـــــر تقصيها ، فالاستقصاء فرقه

وسامح في حقوقك بعض شيء فما استوفى كريم قط حقه

فلا بد من مسامحة الناس والتغافل عما يبدر منهم من اساءة ، فكما يســـامحنا رب العالمين عن اخطائنا ويتجاوز عنها كذلك لابد ان نتعامل مع الاخرين بالخلق ذاته : (26)

سامح الناس ان اساؤوا اليكا وتغافل اذا تجنوا عليكا

ماترى كيف انت تعصي ، ومولا ك يزيد الانعام دابا لديكا

وشاعرنا يعلل احدى اسباب العيش الرغيد الهادي اقترانه بالتغافل عـــن اخطـــاء الاخرين (27)

العيش ثلث فطنه والغير منه تغافل

فتغافل ان كنت امرا ايثار عيشك تامل

فكثرة النقاش في كبار الاشياء وصغارها ، وطلب الانصاف في كل الامور ؛ مما يرهق حياة المرء ويكلفها مالاتطيق ، فلا مناص من التساهل والتغافل (28)

طلب الانصاف من قل ة انصاف فساهل

لاتناقش وتغافل فاللبيب المتغافل

قلما يحظى اخو الان صاف في وقت بطائل

واذا علمنا ان الدهر متقلب وهو ان انعم مرة فانه يسيء مرات ، واذا اردنا ان نسير مع الزمان بتقلباته لابد لنا من السير في طريق التغافل ، فهو الطريق القويم الذي يجنبنا امواج الدهر المتلاطمة واعاصير الزمان العاتية : (29)

كن رفيقا اذا قدرت حليما وتغافل تسلك طريقا قويما

لاتظن الزمان يبقى على من سره او ينيل عزا سليما

ان للدهر صولة وانقلابا ولهذا نعيمه لن يدوما

مما تقدم عن خلق التغافل وما ترجمته اشعار ابن ليون، نقول : ان التغافل خلق عظيم، لايتقنه الا اهل العقل والفطنة ، فمن التعقل التغافل عن ذنب لاتستطيع العقوبة عليه، وعن عداوة كل عدول لاتقدر الانتصار منه ، وكذلك من الفطنة التغافل عما لايعنيك. فالمرء لايكون فطنا عاقلا كيسا حتى يكون عما لايعنيه غافلا .

التواضع

التواضع قيمة فضلى وصفة محمودة تكشف عن نبل صاحبها وشرفه ، وتبين كرم خلقه واصالته ، والتواضع واحد من الاداب السلوكية التي ترفع قدر صاحبها وتميزه، فهي تدل على طهارة النفس ، وتدعو الى المودة والمحبة بين الناس ،وتنشر الترابط بينهم . والتواضع هو خلق الانبياء والعلماء الذين لايرون لانفسهم مزية على الخلق ، ولا عجب في وحي الله تعالى الى نبيه في امر الناس بالتواضع ، لقوله الشريف (ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لايفخر احد على احد ، ولا يبغي احد على احد) (30) ، ومن ثمرات هذا التواضع فضلا عن محبة الناس وودهم رضا المولى سبحانه وتعالى عن المتواضع ورفع قدره ، فقد روي عن الرسول الكريم قوله (ما تواضع احد لله الا رفعه الله) (31)

ومن نور هذه الاحاديث الشريفة الحاثة على التواضع والداعية له ينطلق شاعرنا ابن ليون ، فيدعو الى التواضع ويحث على التحلي به ، فهو عز لصاحبه ورفعه لمنزله:(32)

تواضع المرء ترفيع لرتبته وكبره صنعة من غير ترفيع

من نخوة الكبر ذل لااعتزاز له وفي التواضع عز غير مدفوع

ويقرن شاعرنا بين التواضع وفعل الخير ، فهما سبب ونتيجة ، فلا يفعل الخير الا انسان تواضع في نفسه فجادت له بالخير وعلا ذكره وعزت نفسه : (33)

افعل الخير ما استطعت ففعل ال خير ذكر لفاعليه وذخر

وتواضع تنل علاء وعزا فاتضاع النفوس عز وفخر

والتواضع يعالج غوائل النفس ويحد من طغيانها ، فهو لايحط مرتبة ذي قدر ، وانما يزيده رفعه واجلالا ، ومحبة في قلوب الناس ؛ لان ارفع الناس قدرا من لايرى قدره واكثرهم فضلا من لايرى فضله ، وعليه فلا غرابة من اقرار ابن ليون بسيادة المتواضع وعلو قدره : (34)

اذا عظمت نفس امريء صار قدره حقيرا ، وحيث احتل فالذل صاحبه

يسود ويعلو ذو التواضع دائما ويحظى كما يرضى وتقضى ماربه

فالخير كله في التواضع ، والشر كله في اضداده : (35)

جماع الخير في ترك الظهور واظهار التواضع والبرور

وفي اضدادها من غير شك جميع وجوه انواع الشرور

يتبين لنا من خلال الشواهد الشعرية التي عرضتها الدراسة في خلق التواضع ، تاكيد الشاعر ابن ليون على اهمية التحلي بالتواضع وضرورة الاخذ به ؛ لما فيه من فضل في نيل العز والفخر والعلو والخير، فضلا عن ثمراته التي يحسها الفرد في داخله ، متمثلة بسيادته ورفعة منزلته في مجتمعه وبين اقرانه .

القسم الاخر : المآثر المذمومة :

يسعى شاعرنا من خلال نصحه الاخلاقي الى اعادة تشكيل بعض جوانب سلوك الافراد والحد من ظواهر انحرافهم ، وكاني به يرى ان احد سبل تحقيق الاخلاق المثلى هو تنزيه النفس الانسانية عن كل ما يسيء اليها من سلوك مذموم وقول سيء ، وتمثلت هذه الماثر المذمومه في : الكبر ، وغدر الصديق وخذلانه ، وحب الجاه والسلطة ، والركون الى الدنيا واهلها .

الكبر :

الكبر نوعان : باطن وباطن ، فالباطن خلق في نفس الانسان ، والظاهر اعمال من الجوارح وهذه الاعمال الظاهرة هي ثمرات لما في الباطن ، فالباطن هو الاصل ، والظاهر فرع منه فالمتكبر يرى نفسه فوق من يتكبر عليه ، بحيث يصير ذلك كالعقيدة عنده ، فيفرح به _ اي الكبر _ ، ويركن اليه ، ويعتز في نفسه بسببه .(36)

والكبر حين يستشري في النفس ويتمكن من قلب الانسان ويملك حسه وفكره ؛ يكون اسوا ما يصيب الانسان من امراض القلب ، فما من خلق من الاخلاق المذمومة الا وتجد صاحب الكبر متصفا به ، فهو لا يحب للناس ما يحب لنفسه ، ولا يقدر على

التواضع ولا يتخلص من الحقد ، ولا يتغلب على الغيظ والغضب ، ولا يستطيع دفع الحسد عن نفسه ولا يقبل نصيحة ناصح ولا تعليم عالم ، ولا يعامل الناس الا بالازدراء والاحتقار ، واذا مشى اختال واذا تكلم فخر ، واذا نصح سخر من الناس وحقرهم ، واذا تحدث تقعر في كلامه وتشدق ؛ لذلك ونتيجة لسلوك المتكبر كل هذه الصفات الذميمة مجتمعه قال فيه رب العالمين (ان الله لايحب من كان مختالا فخورا) نساء / 36 وقال الرسول الكريم فيه كذلك (لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) (37) ؛ لان كبره هذا حجبه عن الاخلاق المحمودة ، فحجب عن الجنة .

وتمثلا لما ذكرناه جاءت اشعار ابن ليون النصيحة لتذم من تكبر وتاه بنفسه على الناس خيلاء ، وصعر خده كبرياء ، فانتقد شاعرنا ذلك السلوك المعوج ورفضه ، وعده من المعايب والمثالب التي لابد من تطهير النفس الانسانية من ادرانها ؛ لتستقيم على درب الهداية . فنراه يقبح تعظيم النفس ومدحها تكبرا : (38)

لاتقل يوما انا فتقاسي محنا
من يعظم نفسه يلق هونا وعنا
شر ما ياتي الفتى مدحه لو فطنا

فمدح النفس بمثابة الرق الذي لاعتق له ، والذل الذي لاعز بعده :(39)

محبة المدح رق بـــــلا عتق ، وذل ياله داهية
من لايبالي الناس مدحا ولا ذما اصاب العيشة الراضية

ومادح نفسه لايدري انه بهذا المدح يذكر معايبه لامحاسنه ، ويظهر تكبره ويكشف سره : (40)

عجبا لمادح نفسه لايهتدي لتنقص يبديه فيه مدحها
مدح الفتى عند التحدث نفسه ذكرى معايبه فيدري قبحها

ويعد شاعرنا الكبر واحدا من موانع العلم والتعلم ؛ لان المتكبر يرى نفسه عالما وهو جاهل : (41)

شفاء داء العي حسن السؤال فاسال تنل علما ، وقل ، ولاتبال
واطلب ، فالاستيحاء والكبر من موانع العلـــم ، فما ان ينـــال

ولا غرابة وحال المتكبر هذه ان يكون عجبه بنفسه وتكبره واحدا من مهلكات النفس الثلاث (42)

ثلاث مهلكات لا محالة هوى نفس يقود الى البطالة

وشح لايزال يطاع دابا وعجب ظاهر في كل حاله

وراي الشاعر هنا من الاصابة بمكان ؛ لان المعجب بنفسه ورايه ؛ لايستفيد من غيره باستشارة او نصيحة ، ولا يتاثر بوعظ ولا بارشاد وتوجيه ، وبذلك يغلق على نفسه نوافذ الحكمة ، ويعيش مع نفسه في عزلة بغيضة . ولا شك والحال كذلك من عيش المتكبر في ذل والمتواضع في هناء : (43)

من لم يكن يقصد ان يحمدا يعش هنيئا ونيل اسعدا

من يبتغ المدحة لابد ان يلحقه الذل وان يجهدا

ومما تقدم نقول : الكبر والتكبر وحب المدح ، كلها تحمل المعنى نفسه ، وهي اثر من اثار العجب ، من انسان امتلا بكل هذا ، فكان نظره الى الناس شذر ، ومشبه بينهم تبخر ، ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الايثار ، ولا يرى لاحد عليه حق ، ويرى حقوقه على الناس ، ولاينظر لحقوقهم عليه ؛ ومن اجل كل ذلك مقت شاعرنا هذه الصفه الاخلاقية الذميمة ، فحذر منها ودعا الى تجنبها من خلال طائفة من اشعاره التي وضح فيها ما يعانيه مادح نفسه ومعظمها تكبرا من هوان وعذاب ، فضلا عما يجنيه بهذه الخصلة الذميمة من جهل وهلاك .

غدر الصديق وخذلانه :

الصداقة هي علاقة اجتماعية بين شخصين او اكثر ، قائمة على اساس المودة والتعاون بينهم ، فكل فرد في المجتمع يحتاج الى انسان يبادله المشاعر والاحاسيس ، وينصحه الى الصواب ويرشده . وقد اهتم الاسلام بامر الصداقة واكد عليها ؛ بوصفها عطف متبادل بين شخصين ، يريد كل منها الخير للاخر . فقد ذكر القران الكريم ان اصل الخلق وجد للتعارف والصداقة بين القبائل والشعوب ، لقوله تعالى ((وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا))الحجرات / 13 . واكد الرسول الكريم كذلك على اهمية الصداقة القائمة على اساس الحب والاحترام ، بعيدا عن اي غرض من اغراض الدنيا ، تلك الصداقة التي شعارها التقوى وهدفها الاصلاح ، ومتى ما كانت كذلك اظلت صاحبيها في ظل الله تعالى ، مصداقا لقول الرسول الصدوق (سبعه يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله ... رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ...) (44) ، وهذا المفهوم للصداقة

غير القائم على اية منفعه او لذة ، هو ما اكده المفكر اليوناني ارسطو ، حين عد صداقة الفضيلة الافضل والاكثر بقاء بين انواع الصداقات التي بوبها .(45)

ومما تقد تعد الصداقة جزءا من الانسان ، فالصديق الحق يرعى مصالح صديقه ويحفظ سره ويسرع لنجدته ويخلص له النصيحة ؛ كي يحافظ على الصداقة والمودة . وعملية اختيار الصديق صاحب الاخلاق الحميدة والصفات الجميلة ليست بالمهمة السهلة ، فهناك بعض القلوب اذا دخلت عليها تجدها غابة مليئة بالحيات والعقارب ، اما بعضها الاخر تجده حديقة غناء مليئة بالزهور والرياحين . فكم من علاقات وصداقات انسانية توثقت عراها باسم الحب والصدق انتهت ، وذابت معها كل المشاعر الصفراء التي كانت تغذيها ، ورحلت معها الذكريات ، ولم تترك سوى جروح واحساس بالغباء والسذاجة على بذل مشاعر لم تجد من يصونها فاكثر الالم مرارة ياتي من صديق توهمت معه الصدق ، وامنت باسم الصداقة غدره وخذلانه ، لكن الطعنات جاءتك من حيث لاتحتسب وممن توهمت صدقه وامنت خذلانه وغدره .

ونظرا للاثار السلبية التي يتركها غدر الصديق وخذلانه من فقدان للثقة ، وهدم لاواصر الود والترابط بين الافراد ، وتفكيك للقيم الاخلاقية التي على اساسها يبنى المجتمع ، حذر شاعرنا _ نتيجة لكل ذلك _من الاستهانة بالصداقة وغدر الصديق وخذلانه في اكثر من موضع من مجموع شعره النصحي . فهو تارة يحذر من الاستهانة بالصديق ؛ لانها تعين عدوه عليه ، فضلا عن كونها تذهب مهابة صاحبها: (46)

من يستهن بصديقه يعن العدو على اذاته
بر الصديق مهابة للمرء تخمل من عداته
فاحفظ صديقك ولتكن تبدي المحاسن من صفاته

فخذلان الصديق وعدم نصرته تؤدي الى المهانة والذل : (47)

اياك لا تخذل الصديقا وارع له العهد والحقوقا
نصرته ما قدرت عز تمهده للعلا طريقا
فلا تسامح به عدوا وكن له ناصرا حقيقا

والمضره وما يترتب عليها من اثار سلبية هي نتيجة طبيعية لقطع الصديق وخذلانه وعدم الحرص عليه : (48)

لا تقطعن صديقا وان يضق بك صدرا

فان قطع صديق لاشك يعقب ضرا

ويحذر شاعرنا تارة اخرى من الاستماع الى الاصوات التي تهون شان الصديق وتنال منه: (49)

ان كنت لاتنصر الصديق فدع سماعك القول فيه واجتنب

سماع عرض الصديق منقصة لايرتضيها الكريم ذو الحسب

وان احترام الفرد لصديقه في حضوره وغيابه هو احترام لنفسه ورفعه له امام الناس، وخذلان الصديق هو خذلان لنفس المرء وزيادة له في الاعداء : (50)

من يستمع في صديق قول ذي حسد لاشك يقصيه فاحذر غيلة الحسد

يهابك الناس ماتدن الصديق فان اقصيته زدت للاعداء في العدد

واجمالا نقول : الصداقة التي في طياتها اسمى المعاني تظل طول العمر ، فهي شجرة تنمو وتكبر وتترعرع كلما سقيت بماء المحبة والوفاء والاخلاص . بيد ان خيانة الصداقة والصديق تبدو اشد طعنا من السيف ، لانك لاتكون مهيا لطعنات من تأمن جانبه، ولا تعتقد ان سهم الغدر سياتي من شخص اتخذته صديقا و عزيزا ؛لذلك حذر شاعرنا من غدر الصديق سواء بالاستهانة به او خذلانه وعدم نصرته ، او الاستماع الى من ينتقص منه دون نصرته لان ذلك يهدم صرح قيمة اخلاقية عاليه خلق الله تعالى الامم من اجلها وهي قيمة الصداقة والتعارف .

حب الجاه والسلطه :

لقد اودع الله سبحانه وتعالى في الانسان ميولا ورغبات ، واودع فيه كذلك قوى باطنية عدة لاجل الحفاظ على النوع الانساني واستمرار الانسانية ، ولاجل محافظة الانسان على نفسه والدفاع عنها . ولكن قد يستخدم الانسان هذه القوى بشكل مفرط ، فيبتعد عن جادة الحق والصواب وعن الوسطية التي ينبغي للانسان ان يسير عليها . فبعض الناس يحب المال حبا جما ، وبعضهم لاهم لهم سوى السعي خلف الجمال . والبعض الاخر _ موضوع محورنا _ يسعون نحو الجاه والمنصب ويطلبون الوجاهة في هذه الدنيا ، ويحبون ان ينحني الناس امامهم ، ولا يحبون ان تجري الامور الا من خلالهم، ولا تطلب الحوائج الا منهم ؛ هؤلاء الناس الراغبون للوصول الى اعلى المراتب طلبا للرفعه هم طلاب الجاه والسلطة .

ويعد هذا الخلق السيء _ حب الجاه والسلطة _ من ابرز بواعث التفرقة واسباب تفتيت المجتمع ، ولعل في هذا العصر _ كما في العصور السالفة _ لن نجد اختلافا بين رجال الحكم والسياسة الا ووجدنا حب البقاء في السلطة او الوصول اليها دافعا رئيسا من دوافع ذلك الاختلاف كما اننا نجد هذا الدافع كذلك خلف النزاعات في ادارة الانشطة الاجتماعية والشؤون الدينية كافة وفي مثل هذه الصراعات التي يجعل المتصارعون فيها هدفهم الاول الوصول الى زعامة المنصب او البقاء فيه لفترة اطول ، وفرض هيمنتهم الشخصية او الفئوية عليه ؛ فان العدالة لا تذبح فقط بل تاتي المحرمات كلها في مظهر الحق ، متلبسة اجمل الشعارات الانسانية والكلمات الرقيقة والذين يحبون الجاه ويسعون اليه يتحركون غالبا في سلوكهم الاخلاقي نحو الرياء ، فكل ما يفعلوه من خير في سبيل الوصول للجاه والسلطة يرغبون في اظهاره والاعلان عنه ، وحتى الذي لايفعلونه يحبون ان يحمدوا عليه ، لذلك ذمهم الله تعالى في كتابة العزيز وتوعدهم بالعذاب بقوله (ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم) ال عمران / 188 فهدف هؤلاء مفضوح وهو الشهرة والوجاهة ومدح الناس لهم واخضاعهم لسيطرتهم ، ليس بدافع تفعيل الخير في المجتمع من موقع الاصلاحات الاجتماعية ؛ وانما يسعون للاعمال التي فيها الشهرة للشهرة فحسب وان كان مردودها النفي للمجتمع قليلا . ان هذا الخلق السيء يعد مصدرا لكثير من المفاسد ، فهو من ناحية يبعد صاحبه عن الخالق سبحانه وتعالى وعن الناس من حيث لايشعر ومن ناحية اخرى يتوخى صاحب هذا الخلق شتى الطرق _المقبوله وغير المقبوله _ للوصول الى مراده وتحقيق اهدافه واشباع ميوله ورغباته ، مقتحما بذلك المهالك والمخاطر .

وحب الجاه والسلطة يعد من الرذائل التي لها جذور مشتركة مع كثير من الرذائل الاخرى فضلا عما ذكرناه من اشتراك حب الجاه والسلطة مع الرياء ، فهو يدخل كذلك مع النفاق لقول الرسول الكريم (حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) (51)

ونظرا لخطورة خلق حب الجاه والسلطة والتي بيناها انفا ، ولصراعات الحكام في الاندلس على الجاه والسلطة الذي فاق حد المعقول ، حتى انساهم العدو المشترك فتحالفوا مع العدو على ابناء جلدتهم ؛ للحفاظ على كرسي الرئاسة ؛ كل ذلك دفع شاعرنا الى التحذير من خطورة هذا الخلق السيء في اكثر من موطن من مجموع شعره النصحي .

فهو يحذر من الاغترار بصولة الجاه وما تبديه لصاحبها من منظر جميل وصورة حسنة خادعة : (52)

سكر الولاية ماله صحو وكلامها وحراكها زهو
يهذي الفتى ايام عزتها فاذا تقضت نابه شجو
فحذار لا تغررك صولتها وزمانها ، فثبوتها محو

وفضلا عن عدم ثبوتها وتحولها من طائفة الى اخرى ، فهي كذلك نار تلفح ولهيب يحرق : (53)

لاتغرنك صولة الجاه يوما او تظنن انها تتمادى
صولة الجاه نفخ نار ولكن كل نار لابد تلفى رمادا

ان خطورة التمادي في هذا الخلق تظهر من خلال تزيين العمل الذي تظهره لصاحبها ، من خلال الايحاء لصاحب الجاه والسلطة ان ما يقوم به هو بدافع الاحساس بالمسؤولية لاحب الجاه او بدافع العزم على اداء الواجبات الاجتماعية لاطلب الرئاسة ، لذلك حاول الشاعر ابن ليون سد الطريق امام هذه الذرائع من خلال حثه الافراد على عدم طلب الرئاسة ؛ بوصفها داء بغيض ومرض مزمن : (54)

حب الرياسة ياله من داء كم فيه من محن وطول عناء
طلب الرياسة فت اعضاد الورى واذاق طعم الذل للكبراء
ان الرياسة دون مرتبة التقى فاذا اتقيت علوت كل علاء

فاذا كانت هذه الصفة الاخلاقية الذميمة نقيضة التقوى ؛ فان عاقبتها لامحالة الذل والهوان فمن اراد التقوى فليترك طلب الجاه والرئاسة والتمسك بهما (55)

العز عاقبته التقى والذل عاقبة الرياسة
فاذا اتقيق علوت في اهل المجادة والنفاسة
واذا راست نزلت في طرق التخلق والسياسة
فلتختر التقوى ولا تراس فتخطيك الكياسة

ولعل من الاهمية بمكان ذكر مسالة مهمة وفحواها : ان مطلق الزعامة والرئاسة التي لايجوز التفكير فيها والتخطيط لاستلامها _كما راى شاعرنا _فيه وقفة مصحوبة بتحفظ ؛ فالسلطة بالزعامة الشخصية هي المرفوضة والمستقبحة ، اما التي يريدها المؤمن بها والمخلص لها ؛ لاجل خدمة القضية الانسانية كنشر العدل والهداية على ربوع الوطن

،والاتيان الى الناس بحياة طيبة تقوم على مرتكزات حقوق الانسان وسيادة القانون والمساواة في توزيع الثروات ، وغير ذلك من القوانين الالهية او الانسانية ذات القيمة العليا ؛ فانها رئاسة الحق (*)، وطلب الزعامة لاجل تنفيذ كل ذلك بين الناس امر تحث عليه جميع الشرائع السماوية والوضعية ، وما طلب نبينا يوسف الكريم بتولي خزائن الارض لاقامة العدل بين الناس عنا ببعيد .

واجمالا نقول : المقياس في النهي عن طلب الرئاسة وحب الجاه الدافع لها ، فاذا كان دافعها هو حبسها وتجييرها لشخص محدد، واحتكارها لحزبه وجماعته وعشيرته واسرته، فهذا المنهي عنه لان ذلك سيجره الى التكبر على الناس واستعبادهم لخدمته وحاشيته . وطلب الجاه والسلطة وفق هذا المنظور المبين اعلاه هو ما ترفضه السماء والارض ، وهو ما حذر منه واوجب عدم الخوض منه شاعرنا ابن ليون _ وان لم يستثن ويخصص نوع الرئاسة فجعلها عامة _ من خلال ابياته الشعرية التي نهى من خلالها عن طلب الرئاسة وحذر من الاغترار بصولة الجاه .

الركون الى الدنيا واهلها :

يبدو ان تجربة الشاعر كانت قاسية ومؤلمة مع الناس خلال حياته ، ولاعجب من ذلك فقد عاش ابن ليون في عصر المحنة الكبرى ، الذي كثرت فيه حروب الاسترداد _ كما يسميها المستشرقون _، وازدادت الفتن الداخلية ، وغاب الخلفاء عن مسرح الاحداث بالاندلس واستقروا في المغرب العربي ، فقلت مراقبتهم لعمالهم في الاندلس وما كانوا يفعلونه بالبلاد والعباد من سوء المعاملة والظلم والاضطهاد ؛ كل ذلك القى بظلالة الوخيمة على الفرد الاندلسي خاصة والمجتمع عامة ، فاختلف لديهم المقاييس الاخلاقية وتفاوتت ، فضعف الدافع الاخلاقي الذي يحرس الانسان ويحصنه من الوقوع في وحل فقدان الاخلاقيات في التعامل ، فانعكست صورة افراد المجتمع وتعاملهم السيء على شاعرنا ؛ فصدرت رؤيته التي تقوم على اساس الحذر من الناس والدنيا .

لقد اخذت نصيحة الشاعر ابن ليون للفرد في تعامله مع الناس ومجتمعه مسارين ، لانقول عنهما متناقضين بقدر ما نقول متلازمين ، فالظاهر فيها متناقض ، ولكن النظر بتروي وتمعن فيها يجد التلازم والموضوعية سمة واضحة فيها . فالشاعر ينظر الى الناس بوصفهم قسمين : قسم سيء _ وهم كثرة بنظره _ تذم مرافقته وتحمد عزلته ، وقسم جيد _ وهم قلة بتقديره _تحمد مصاحبته وتذم مجانبته .

فمن امثلة القسم الاول الكثير قوله راثيا زمنه ؛ لرحيل اهله الصالحين وبقاء الباطلين:(56)

تجد الناس على النقص ولا تجد الكامل الا من ومن
زمن الباطل وافى اهله وكذاك الناس اشباه الزمن

لذلك اوجب الشاعر_ بنظره _ التحفظ من الناس وعدم التقرب اليهم (57)

تحفظ من الناس تسلم ولا تكن في تقربهم ترغب

لان الناس ليسوا كما نشتهي ونود ، فاكثرهم شامت او ضار ، لاترجى عشرته ، ولا يحب قربه : (58)

لاتركنن الى بشر ان شئت تامن كل شر
ذهب الذين اذا ركنت لهم امنت من الضرر
لم يبق الا شامت او من يضر اذا قدر

ولا اراه يعني بذهاب الذين اذا ركنت لهم امنت من الضرر الا مجموعة القيم الاخلاقية العالية التي اتصف بها ذلك الرعيل الاول ، والذي تلقاها مباشرة من المعلم الاول ذي الخلق الرفيع المبعوث متمما لمكارم الاخلاق الرسول الكريم ، ومن سار على نهجهم واقتفى اثرهم .

فلا مناص _ والحال كما يرى الشاعر _ من العزلة وترك الناس (59)

اعيت مع الناس الحيل وبار فيهم العمل
في اي وجه املوا يخيب منهم الامل
فاثر العزلة عن هم تنج من كل خلل

وبما ان التعميم يخالف طبيعة الاشياء ، نرى الشاعر يقترب من الموضوعية شيئا ويقر بوجود ثلة قليلة من الناس تسير في عكس اتجاه القسم الاول الذي ذكرناه ، فمن غير المعقول ان يكون الناس على حال واحد ، ولعله يؤكد هذا القسم الاخر بقوله منصفا بعض الناس بقوله :(60)

من خالف الناس اتى اعظم ابواب الحمق
فكن مع الناس فتر ك جملة الناس خرق

فبعض الناس الذي يعد الشاعر تركهم خرقا ، هم من دعا الى مخالطتهم وتعظيمهم للمحافظة على القسم الاخر القليل من التلاشي والاندثار : (61)

تعظيمك الناس تعظيم نفسك في قلوب الاعداء طرا ، والاوداء

من يعظم الناس يعظم في النفوس بلا مؤونة وينل عز الاعزاء

ويدعو الى المعية معهم والحرص على موافقتهم فيما يرون ويحذر من مخالفتهم والابتعاد عنهم : (62)

كن مع الناس كيف كانوا ، ووافق ان من لايوافق الناس مائق

من يخالف في شيء الناس يرجع هدفا للسهام من كل واشق

ففي هذه المرافقه لهؤلاء الناس الجيدين والحرص على موافقتهم وعدم مخالفتهم ؛تتحقق للفرد العيشة الهنية والسعادة الدائمية (63)

وافق الناس ، ان اردت السلامة ان روح الوفاق روح كرامة

من يوافق يعش هنيئا قريرا امنا من اذية وملامـــــــة

ولعل في هذا التفصيل ما يميط اللثام عن اللبس الذي قد يحصل نتيجة وجود شواهد شعرية في نصائح ابن ليون التجيبي تدعو الى النصرة من الناس والعزلة عنهم ، واشعار اخرى تشيع لمخالطة الناس والمعية معهم . فالمسالة بدت لنا تقسيم للناس الى صنفين ، صنف كثير تذم مصاحبته وقسم قليل تحمد مرافقته .

المبنى

اللغة هي مادة الاديب واداته التي يؤدي من خلالها معانيه بطرائق مختلفة تميزه من الفنون الاخرى فامتاز الشعر منذ عرف بطابعه الجمالي لاعتماده على الدقة في صياغة الالفاظ والتراكيب من خلال استثمار اللغة ؛ لغة الحديث والسرد الاعتيادي التي تتحول في الشعر حالة خاصة تفصح فيها الالفاظ والتراكيب عن معان اعمق واجمل مما هي عليه ، وهذا لان اللغة في العمل الشعري ليست مجموعة كلمات فحسب ، لاننا (لو كنا نعني باللغة مجرد مجموعة من الكلمات لم تكن هناك لغة شعرية خاصة ، اما لو كنا نعني باللغة الشعرية تراكيب مكونة من كلمات مصنوعة بانساق معينة ، فلا نشك اذن بوجود لغة شعرية لا تتميز عن سواها بمضمونها وانما ببنيتها) (64)

وقد حفلت نصائح ابن ليون التجيبي الاخلاقية بسمات بنائية فنية خاصة ، اختطها ابن ليون لشعره النصحي ؛ ليوصل من خلالها افكاره بالطريقة الفنية التي راها مناسبة ، ولعل ابرز هذه السمات البنائية : المقطوعة ، اساليب الطلب ، الصورة الشعرية .

المقطعات

مثل مصطلح المقطعات مظهرا شعريا حتم على النقاد تحديده بالقياس الى النص المكتمل وهو القصيدة ، فالمقياس في نسبة القصيدة الى المقطعات هو مقياس عددي اولا . فمصطلح المقطعات بوصفه ظاهرة تحيل الى مجموعة منتظمة من الابيات الشعرية لاتتجاوز الستة ابيات (65)

ثم ان النقاد العرب كانوا على وعي كذلك بمقياس الطول في النص الشعري ومناسبة كل غرض لحجم النص طولا او قصرا ، فهذا صاحب العمدة ينقل لنا (ان ابا عمرو بن العلاء قد سئل هل كانت العرب تطيل ؟ قال : نعم ، ليسمع منها ، قيل : فهل كانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها) (66) ، وايد ذلك الخليل بن احمد بقوله (يطول الكلام ويكثر ليفهم ، ويوجز ويختصر ليحفظ) (67) ولعل حفظ الكلام وانتشاره بسرعة بين الناس لايجازه واختصاره هو ما دفع كثير من الشعراء الى ان يقصروا في اشعارهم ويفضلوا المقطعات على الطول ، فقد قيل (لبعض المحدثين : مالك لاتزيد على اربعة واثنين ؟ قال : هن بالقلوب اوقع ، والى الحفظ اسرع ، وبالالسن اعلق وللمعاني اجمع ، وصاحبها ابلغ واوجز) (68) ، وهو الجواب ذاته للحطياة حين سئل (ما بال قصارك اكثر من طوالك ؟ فقال : لانها في الاذان اولج ، وبالافواه اعلق) (69) ، واليه ذهب الفرزدق ايضا حين سئل السؤال ذاته فقال (لاني رايتها في الصدور اوقع ، وفي المحافل اجول) (70) ويبدو مما تقدم ان الامر في المقطعات يكون اكثر سهولة وحرية مما عليه في القصيدة وذلك لقصرها وسرعة قولها وسهولة انتشارها وحفظها فهي تمثل للشاعر تعبيرا (عن خاطر راوده وشعور حاد في لحظة من اللحظات او معنى طريف جال بنفسه فاقتنصه دون ان يتوسع فيه او يولد منه ما يصنع قصيدة طويلة) (71) ، فالمقطعات تمتاز بالوحدة الموضوعية ، فهي على قلة ابياتها لايمكن بحال من الاحوال ان تستوعب اكثر من غرض واحد ، فيمكن ان نعدها مطلعا وخاتمة ، اغنت عن الغرض الرئيس بنفسها ، فالشاعر يرمي بثقله فيها ليصوغ فكرة ما ، يتمم معناه في المقطوعة ، وهذا يستتبع الدخول في الغرض مباشرة دون مقدمات .

ولقد حظيت المقطعات في الاندلس عامة وعصر الموحدين وبني الاحمر خاصة بعناية الشعراء فعالجوا فيها ومن خلالها موضوعات شتى (فوجد العلماء والصوفية والمؤرخون فيها مادة الاخبار والشواهد والامثال والحكم والنصائح غير قليلة) (72) ،

ولعل هذه الحظوه التي كانت للمقطعات لها عدة اسباب : منها ما ذكرناه في مقدمة حديثنا عن المقطوعة ، ومنها كذلك تسارع الاحداث في الاندلس في هذه الحقبة وتوالي سقوط المدن من جهه واشتداد الصراع بين الحكام الاندلسيين انفسهم على المناصب ونسيان العدو المشترك ، مما ادى الى تشتيت الناس وضياعهم في خضم هذه الصراعات، مما لم يدع فرصة للادباء الى تحبير القصائد الطوال التي تحتاج لوقت في النظم من لدن الشعراء والفهم من قبل الناس ، فهرعوا الى نظم المقطوعة التي وجدوها تناسب هذه المرحلة ؛ لقصرها _ اي المقطوعة _ وسرعة نظمها وسهولة فهمها ، لتحقيق التاثير المرجو منها ، ومن هؤلاء الذين وجدوا في المقطعات مادة لنشر نصائحهم وتبليغها ابن ليون التجيبي الذي شعر باهمية المقطعات وتاثيرها في العقول والقلوب وسهولة وصولها الى الاسماع والاذان فاختار لنصائحه الاخلاقية بناء المقطعات ، فوضعها في مئتين واثنتين وتسعين مقطوعة (*) ؛ كي تاخذ مداها في الافاق ، ويسمعها القاصي والداني فيعتبر بها كل من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد . وقد توزعت هذه المقطعات مابين الماثر الممدوحة والماخذ المذمومة والتي ذكرنا بعضا من نماذجها ، وسنذكر بعضا اخرا _ بعون الله تعالى _في المبنى الفني لاحقا .

اساليب الطلب :

الاسلوب هو (الضرب من النظم والطريقة فيه) (73) ، وهو طريقة الاداء الخاصة التي يسلكها الاديب ويصوغ فيها افكاره ، ويبين عما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات ، فينقلها الى سواه بهذه العبارة اللغوية قصد الايضاح والتاثير ، والاديب عامة والشاعر خاصة يفصح خلال ذلك (ولو من حيث لايشعر عن ذوقه الخاص ويبين ولو من حيث لايدري عن حدود ذاته وعن رسوم شخصيته) (74)

ويعد اسلوب الانشاء الطلبي الاكثر استعمالا في شعر الشعراء عامة ؛ لما فيه من (تفنن في القول ، لخروجه عن اغراضه الحقيقة الى اغراض مجازية تفهم من سياق الكلام) (75) ، مما يفسح مجالا رحبا للتعبير ، وقدرة فنية كبيرة للقول .

وتعد اساليب : الامر والنهي والاستفهام والتمني والترجي والنداء، اهم الاساليب الطلبية الانشائية التي عني بها اهل اللغة والبلاغة ، الا ان البحث سيقتصر على اساليب : الامر والنهي والاستفهام لانها الاكثر استعمالا في شعر ابن ليون التجيبي ، مما شكل ظاهرة بنائية بارزة لديه .

اسلوب الامر

لقد تناول الباحثون القدماء منهم والمحدثون اسلوب الامر بتعريفات عدة ، فمن القدماء ابن حمزة العلوي الذي حده بكونه (صيغة تستدعي ، او قول ينبي عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء) (76) ، ومن المحدثين احمد الهاشمي الذي عرفه بانه (طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الالزام) (77) . ومن التعريفين نرى اشتراط ان يكون الاستعلاء هو دلالة الامر على الوجوب ، ومن هنا يكون التمييز بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية . فالامر له معنيان : حقيقي ومجازي واذا كان الامر الحقيقي يلقى على وجه الاستعلاء فان الامر المجازي لايشترط منزلة الاستعلاء بين الامر والمامور ، المتكلم والمخاطب . ولهذا قيل انه ليس على الوجه الحقيقي للامر . فاسلوب الامر يخرج من دلالته الحقيقية (لينتج مالم تتعود اللغة انتاجه ، وهذا المنتج يعتمد على تحول موضوعي يخرج البنية من اصل المعنى) (78) وفيه تتسع دائرة اسلوب الامر وتخرج الى اغراض مجازية ، وما هذه الاغراض وتلك المعاني المجازية الا انعكاس لمشاعر تختلج بها النفس ، ليست لها ضوابط محددة ، ولا انظمة معينة فينتج بذلك دلالات مجازية تفهم من السياق ، ومن هذه الدلالات والاغراض والمعاني ؛ الامر لغرض النصح والارشاد ، وهو (طلب خلا من كل تكليف والزام ، يحمل بين طياته معنى النصيحة والارشاد) .(79)

وللامر _كما معلوم _ صيغ اربع يؤدى بها وهي : فعل الامر ، والمضارع المسبوق بلام الامر ، واسم فعل الامر، والمصدر النائب عن فعل الامر ، بيد ان فعل الامر واسم فعل الامر هما من بسطا سلطانهما في مقطوعات ابن ليون دون غيرهما من صيغ الامر. وقد تغنى شاعرنا في استخدام فعل الامر في مقطوعاته وباشكال متعددة ، فتارة يورد فعلان امر في المقطوعة كقوله ناصحا بأخذ راي اهل العلم وترك جهاله (80)

خل راي الجهال ما استطعت واتبع راي اهل الحلوم والتجريب
راي اهل الصلاح نور يجلي ظلمة الكرب في ليالي الخطوب

وتارة يورد اربعة افعال امر في المقطوعة ، وهذا يظهر في نصحه بضرورة التاني والتحفظ في القول والسمع : (81)

خذ من القول بعضه فهو اولى وتحفظ مما يقول العداة
فاحترز من غرر الاقوال واعلم ان الاقوال بعضها كذبات

وتارة اخرى يورد خمسة افعال امر في مقطوعة لاتتجاوز البيتين ، كقوله منصحا بالقول الحسن دون القبيح : (82)

اذا رايت القبيحا فقل كلاما مليحا

واغض واستر وسلم وكن حليما صفوحا

وتارة اخرى يوظف ستة افعال امر في مقطوعة ثلاثية الابيات ، ليبرز من خلالها ناصحا قواعد الحياة السعيدة للفرد في مجتمعه ، والتي من ابرز دعاماتها الاعتبار بمن باد، وترك عيوب الناس ، واراحة النفس وتجنب اتعابها في امور لا تسمن ولا تغني من جوع :(83)

ارح النفس تنتفع بحياتك واغنم العيش قبل يوم وفاتك

واطرح عيب من سواك وسالم جملة الناس يغفلوا عن اذاتك

واعتبر بالذين بادوا وبادر مايدانيك من سبيل نجاتك

وكانت لصيغ الامر الاخرى حضور في نصائح التجيبي ، وان كانت بدرجة اقل ، ومنها اسم فعل الامر (هيهات) الذي وظف في اكثر من مقطوعة ، كقوله امرا بترك المطامع والحث على العيش العزيز : (84)

ترك المطامع عزة والياس اهنا وانزه

هيهات يعتز مثر اضحى للاطماع نهزه

ويوظف (هيهات) كذلك في معرض نصحه للاخرين بضرورة علو همة الفتى وترك الخمول المؤدي الى الذل والامتهان : (85)

بقدر همته يعلو الفتى ابدا لاخير في خامل الهمات ممتهن

هيهات يعلو فتى الخمول همته يقوده لابتذال النفس والمهن

واسم فعل الامر الاخر الذي وجد له مكانا في نصائح ابن ليون هو (حذار) ، الذي استخدمه في امره بالصمت دون الكلام ؛ لان في الصمت السلامة من شر الكلام الكثير ؛ فمن كثر كلامه كثر غلطه : (86)

الصمت عز حاضر وسلامة من كل شر

وحذار مما يتقى وحذار من طرق الغرر

وهكذا يتبين لنا كثرة ايراد الشاعر ابن ليون لصيغ الامر في نصائحه ، سواء فعل الامر الذي تكرر لمرتين واربع وخمس وست ، او لاسم فعل الامر هيهات وحذار الذي

تكرر اكثر من مرة . وهذا ليس بغريب ؛ فاكثر النصائح هي اوامر بمعروف ، فضلا عن نواه عن منكر ، وقد برزت لنا الاوامر اكثر من النواهي _ كما سياتي _ في مقطوعات التجيبي النصيحة .

وقد وجه ابن ليون اسلوب الامر بصيغه المتنوعة توجيها مغايرا لوجهته الحقيقية المتمثلة بطلب حصول الامر على وجه الاستعلاء والالزام ، فوجهه وجه مجازية ادت غرض النصيحة والارشاد .

اسلوب النهي

لاشك في ان الكلام المشتمل على الاوامر غالبا ما يكون مشتملا على نواه ؛ لانه اذا (كان الامر لابد فيه من ارادة مامورة ، فان النهي لابد فيه من كراهية منهية) (87) ، ونصائح ابن ليون التي طغى عليها الامر ببعض صيغه ، اشتملت كذلك _ ولو بدرجة اقل _ على نواه ، والنهي هو (طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والالزام) (88) ، وله صيغة واحدة يؤدي بها ، وهي صيغة الفعل المضارع المسبوق ب (لا) الناهية .وقد يخرج النهي عن معناه الاصلي هذا الى معان اخرى مجازية تفهم من المعنى العام وسياق الكلام ، ومنها النصح والارشاد . (89)

وقد استثمر شاعرنا التجيبي النهي بصيغته المجازية في شعره النصحي ، فحمله على الارشاد والتوجيه والنصح . فنراه يدعو تارة الى النهي عن الضجر من القضاء والقدر وسير الامور في مالا تشتهي نفس الانسان : (90)

لاتضجرن في الامور وارض بما ... يقضي به الله فهو مكتتب
ما قدر الله لامرد له ... فما يفيد العناء والعتب

فلا يرى مناصا _ وكذلك نرى _ من الاعتماد على الله تعالى وحده والنهي عن الاعتماد على غيره : (91)

لاتعتمد ابدا على مخلوق ان ... تبغ النجاح وتقصد الرشدا
من يرج غير الله يحرم رشده ... ويذل وهو مخيب قصدا

وتارة اخرى ينهى ابن ليون عن طلب الاشياء من الانسان الفاقد للمروءة والاحسان ، لان فاقد الشيء لايعطيه :(92)

لا تبغ النعمة من جائع ... لم يرها قبل لابائه
لايرشح الاناء مالم يكن ... ملان قد افعم من مائه

وتارة ثالثة ينهى عن الاهتمام بحسد الحاسدين ، ويدعو الى عدم الضيق مما يقولون:(93)

لاتضق صدرا بحاسد فهو في نار يكابد

انما الحاسد يشقى وهو لايحظى بعائد

كل ذلك نهى عنه الشاعر ابن ليون لما فيه من اثار سلبية على الفرد والمجتمع فحاول ان ينصح الاخرين الى تجنب ذلك من خلال استثماره لصيغة النهي بمعناها المجازي الدال على النصح والارشاد .

الاستفهام

ينوع ابن ليون التجيبي من اساليبه البيانية للوصول الى المعنى المقصود ، ومن هذه الاساليب الاستفهام ، الذي (هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل ، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه انه طلب خبر ماليس عندك ، اي طلب الفهم) (94) ، ويتم الاستفهام باستخدام احدى ادواته الاستفهامية : الهمزة وهل وما ومن ومتى واين وكيف وايان واي وكم وانى . وتخرج الفاظ الاستفهام عن معناها الاصلي وهو طلب العلم بمجهول ؛ فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به ؛ لاغراض مجازية عديدة ، وهي كثيرة يصعب حصرها ، واشار الى ذلك القزويني بقوله (ثم هذه الالفاظ _ يقصد الفاظ الاستفهام _ كثيرا ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام) (95) وتتداخل هذه الاغراض المجازية بعضها ببعض ولكن الذوق السليم وقرائن الاحوال تشير الى الغرض وتحدده .

واسلوب الاستفهام في نصائح ابن ليون لايحمل المعنى اللغوي على طلب الفهم ، وانما يخرج الى معان مجازية اخرى توحي بدلالات متعددة وايحاءات متنوعة ، ولعل ابرز غرض مجازي خرج اليه الاستفهام هو النفي الدال في مضمونه على تثبيت امر النصح المحمود والنهي عن المذموم .

وقد روض شاعرنا حرفي الاستفهام (الهمزة وهل) واسم الاستفهام (كيف) في غرض الاستفهام المجازي ليمنح اشعاره النصحية طاقة تعبيرية وحركية اكثر . ويبرز ذلك من خلال توظيفه لحرف الاستفهام الهمزة الدال على النفي في قوله (96)

كل ماقد فات لارد لـــه فلتكن عن ذاك مصروف الطمع

ايعود الحسن من بعد الصبا قلما ادبر شيء فرجـــع

الشاعر هنا يدعو الى النظر للامام والعمل للمستقبل دون الاهتمام بالماضي وحده وتمجيده فعقارب الساعة لاتتوقف ، وكل شيء يمضي ويتغير ، فلا قدرة لنا على ايقاف الزمن . كل ذلك ابداه الشاعر من خلال استثماره لدلالة حرف الاستفهام الهمزة المجازي الدال على النفي في قوله (ايعود الحسن) .

وفي موضوع اخر يستخدم ابن ليون حرف الاستفهام (هل) في معناه المجازي الدال على النفي في معرض تحذيره من استقطاب اشرار الناس وخلانهم ، وضرورة التحفظ منهم ، لان الشر بادي في سيماهم :(97)

لاتقرب ما استطعت خل عدو فخليل العدو حلف عداوة

وتحفظ منه وداره وانظر هل ترى من سيماه الا القساوة

وينصح الشاعر الناس بترك العتب فيمن لاينفع معه العتب ، فبعض الناس كالميت لاحياة فيه كي تعاتبه ، وكالاعمى لايبصر لتعاتبه ، من خلال توظيفة الاستفهام المجازي بالاداة (هل) الدالة على النفي لتوكيد نصحه وتعزيز ارشاده (98)

ياعاتبا من لا له همـــــة الا اتئد الى متى تعتب

هل يسمع الميت او يبصر ال اعمى ؟ محال كل ما تطلب

وياتي ابن ليون باسم الاستفهام (كيف) ويخرجه من معناه الاصلي الى معنى مجازي اخر دال على النفي المؤكد للنصح ، في تضاعيف حديثه النصحي الى الناس بضرورة حفظ الصديق ومداراته وعدم اذيته واهتضامه ، فالكريم من الناس لابد ان يراعي ذمم الاصدقاء والناس، ولاينسى احدا منهم (99)

لاتمالي على صديقك وادرا عنه ما اسطعت من اذى واهتضام

ماتناسى الذمام قط كريم كيف ينسى الكريم رعي الذمام

حاول شاعرنا من خلال استخدامه الاستفهام المجازي الدال على النفي لتوكيد نصائحه المحمودة والنهي عن المذمومة ، تخليص شعره من ركود العبارة ، وشد ذهن المتلقي والانطلاق به في فضاءات الدلالة وايحاءاتها ، من خلال نفيه عودة الحسن بعد انتهاء الصبا ، ورؤية الحنان في وجه العدو ، وسماع الميت وابصار الاعمى ، ونسيان الكريم رعي الذمام ، ليؤكد من خلال ذلك اهمية نصائحه في العمل للمستقبل والتخطيط له، وعدم تقريب الاعداء والمودة لهم ولخلانهم وترك عتب واسماع من لاحياة له ولا حياء ، والمحافظة على الصديق وحسن عشرته .

الصورة الشعرية

بلغت دراسة الصورة الشعرية مدى كبيرا من التعقيد اكثر من باقي العناصر المكونة للعمل الشعري لاهمية هذا العنصر في البناء العام للقصيدة وشعرية النص ، فكثرت الدراسات التي تناولت الصورة وتعددت تعريفاتها (100)

اذ لم يجمع النقاد والباحثون على قول فاصل يحدد ابعادها تحديدا جامعا مانعا ، فهي في احدى تعريفاتها تعد (تركيبة عقلية وعاطفية معقدة تعبر عن نفسية الشاعر وتستوعب احاسيسه وتعين على كشف معنى اعمق من المعنى الظاهري للقصيدة عن طريق ميزه الايماء والرمز فيها) (101) وبذلك تكون الصورة هي المراة التي تتراءى فيها التجربة النفسية ، فالشاعر يتوسل بها للتعبير عن تجربتة الشعرية بما فيها من رؤى وتصورات وازمات وانفعالات انسانية ؛ لانها اساس الوساطة بين الشاعر والمتلقي ، وقادرة على احداث الاثر المنشود في المتلقي في اثارة انفعاله وتحريك فكره وتوصيل المعنى المطلوب بوساطة اللغة .

والصورة في العمل الادبي تقوم على عناصر معينة من ضروب البلاغة كالتشبيه والاستعارة والكناية ، وغيرها من فنون الخيال المتنوعة والمعروفة في لغتنا العربية ، وتشكل بمجموع هذه الفنون او بواحد منه صورة ذات ايحاء خاص يخاطب اذهاننا بوساطة حاسة بعينها من حواسنا (فاغلب الصور مستمدة من الحواس الى جانب مالا يمكن اغفاله من الصور النفسية والعقلية) (102)

وقد استكمل شاعرنا في مبناه الفني جوانب الصورة ، واكثر من اسلوبي التشبيه والاستعارة فهما الاكثر ورودا في نماذجه النصحية ، لذا ستقتصر الدراسة على هذين الاسلوبين فقط .

التشبيه :

يعد التشبيه من اوسع الصور استعمالا في الشعر العربي عموما ، بوصفه اقدم صور البيان ووسائل الخيال (103) ، ولعل سبب كثرته يرجع ايضا الى رغبة الشعراء به؛ لسهولة اسلوبه واستساغته ، فضلا عما يتمتع به التشبيه من مميزات بلاغية وطاقات ايحائية تؤدي دورا مهما في اثراء وزيادة قدرته على التاثير في نفوس سامعيه . (104) لذلك اتخذه الشعراء سبيلا لبيان افكارهم وايضاح معانيهم .

وانواع التشبيه عديدة ، بيد ان ابرز انواعه الذي وجد له مكانا في نصائح ابن ليون التجيبي هو التشبيه التمثيلي الذي يعد ابلغ انواع التشبيه التمثيلي (لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج الى فكر وتدقيق نظر، وهو اعظم اثرا في المعاني : يرفع قدرها ، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها .... ومن ثم يحتاج الى كد الذهن في فهمه ، لاستخراج الصورة المنتزعة من امور متعددة ، حسية كانت ام غير حسية لتكون وجه الشبه ، كقول الشاعر :

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها مراة تبر بدت في كف مرتعش

فمثل الشمس حين تطلع حمراء لامعة مضطربة بمرارة من ذهب تضطرب في كف مرتعش) (105)

ولتشبيه التمثيل موقعان ، احدهما (يكون في مفتتح الكلام ، فيكون قياسا موضحا برهانا مصاحبا وهو كثير جدا في القران ، نحو (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) . البقرة / 261) (106) والاخر (ما يجيء بعد تمام المعاني لايضاحها وتقريرها ، فيشبه البرهان الذي يثبت به الدعوى نحو: ....

لاينزل المجد الا في منازلنا كالنوم ليس له ماوى سوى المقل) (107)

وقد استاثر شاعرنا بهذا الموقع الاخر ووظفه في اشعاره النصحية ؛ لما لهذا النوع من تاثير في النفوس ؛ لان(النفس تانس اذا اخرجتها من خفي الى جلي ، ومما تجهله الى ما هي به اعلم) (108) فنراه يستعين بهذا النوع من التشبيه التمثيلي في تحذيره من مؤاخاة اصدقاء السوء : (109)

احذر مؤاخاة الدني فانها عار يشين ويورث التضريرا

فالماء يخبث طعمه لنجاسة ان خالطته ويسلب التطهيرا

فالماء الصافي يصبح نجسا اذا خالطه شيء غير طاهر ، وكذلك الانسان الصالح يضحى طالحا اذا صاحب انسانا سيئا .

والى المعنى ذاته يذهب شاعرنا في تحذيره من مصاحبة الانسان الرديء : (110)

لاتصحب الاردى فتردى معه وربما قد تقتفي منزعة

فالحبل ان يجرر على صخرة ابدى بها طريقة مشرعة

فكما ان الحبل يؤثر طول مروره على الصخرة فيترك بها اثرا على الرغم من صلابتها وقوتها فكذلك الصاحب الرديء يؤثر في صديقه سوءا مهما كانت صلابة الصديق الجيد وقوة شكيمته متينة . لذلك يوصي شاعرنا بالحذر وينصح بالتاني في اختيار الصديق ، فربما يؤتى الحذر من مامنه وتكون منية المتمني في امنيته (111)

اعذر الناس من اتته المضرة من اخ كان يرتجي منه نصره

مثل من غص بالشراب فكان ال هلك فيما رجاه يدفع ضره

فربما يغص الانسان بالشراب فيهلك ، على الرغم من ان الشراب في اصله يدفع الغصة والهلاك . وكذلك الصديق تظنه ينصرك في مواضع الضيق ، فاذا به يخذلك وتاتي منه المضرة .

ويعطي شاعرنا ابن ليون صورة معكوسة في موضع اخر ، فيوصي بمصاحبة الانسان الفاضل ووجوب صداقته ، بعدما حذر في الموضع السابق من مؤاخاة صديق السوء : (112)

فاصحب اخا الفضل كيما تقفو بفعلك فعله

اما ترى المسك دابا يكسب طيبا محله

فكما ان المسك ينتشر في المكان فيملأه طيبا ، كذلك صديق الخير يملا صديقه خيرا الى مثل هذه التشبيهات التمثيلية جنح شاعرنا ابن ليون التجيبي ، فاتى بها بعد تمام المعاني ليبرز نصائحه بثوب موشح بالبيان البلاغي الجميل ، لتتقبله النفوس باريحية ، وتتفهمه بالمقبولية فهو بعد ان يتم معناه بتحذيره من صديق السوء ؛ لما يترتب على مصاحبته من اثار سلبيه تلقي بظلالها على الفرد الصالح ؛ ياتي بعد ذلك بالتشبيه التمثيلي ليؤكد المعنى ويبرزه ، من خلال تمثله بالماء الصالح الذي يخبث بالنجاسة ، والصخرة التي يترك الحبل عليها اثرا لطول مروره عليها ، وغص الانسان بالشراب احيانا فيكون مهلكه فيما رجاه منجاته . والى الصورة المعكوسة يذهب ايضا شاعرنا فبعد ان تم معناه بضرورة مصاحبة الصديق الفاضل ، ياتي بالتشبيه التمثيلي ليقوي معناه ويوضحه ، بتشبيهه الصديق الجيد بالمسك الذي ينشر في محله ريحا طيبا .

الاستعارة

هي من الوسائل المهمة التي استكمل بها ابن ليون رسم صوره وتصوير مشاعره وابراز افكاره وهي (استعمال اللفظ في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابة بين المعنى

المنقول عنه والمستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن ارادة المعنى الاصلي) (113) ، وهي اكثر اختصارا وايجازا من التشبيه اذ انها (صورة مقتضبة من صوره) (114) ، ولكنها ابلغ منه ؛ لان (الاستعارة تشبيه حذف احد طرفيه ووجه شبهه واداته ،... والتشبيه مهما تناهى في المبالغة فلا بد من ذكر المشبه والمشبه به وهذا اعتراف بتباينهما ، وان العلاقة ليست الا التشابه والتداني ، فلا تصل الى حد الاتصال بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج ، وان المشبه والمشبه به صارا معنى واحدا يصدق عليهما لفظ واحد) (115) . وعليه فاهمية الاستعارة تكمن في ايجازها وقوة ايحاءها وبعدها عن الاداء المباشر ، فمهمتها لا تنحصر في تقرير المعنى وتوكيده ، بل نجدها تضيف حقيقة نفسية جديدة ، حين تتجاوز اللغة الدلالية الى اللغة الايحائية ، وهي (عبور يتم عن طريق الالتفاف خلف كلمة تفقد معناها على مستوى لغوي اول لتكتسبه على مستوى اخر ، وتؤدي بهذا دلالة ثانية لا يتيسر اداؤها على المستوى الاول) (116) ، وهنا تكمن قدرة الشاعر حين يقدم صورة جديدة غير مالوفة ، يتحدد جمالها حسب قدرتها على الايحاء والتاثير ي المتلقي .

وقد اخذت الاستعارة في نصائح ابن ليون تتنوع بتنوع مضامين نصحه ، فغالبا ما نجده ينحى في رسم صوره الاستعارية منحى حسيا يقوم على اساس تبادل المدركات لموقعها عن طريق تجسيد او تشخيص المعاني المجردة والاشياء الجامدة وابرازها في اطار مادي ملموس .

ففي نصحه الناس بضرورة مؤاخاة الاخيار وتجنب الاشرار ، يجسم الخمول بوصفه انسانا يكسي خموله على من يصاحبه : (117)

انت في الناس تقاس بالذي اخترت خليلا
فاصحب الاخيار تعلو وتنل ذكرا جميلا
صحبة الخامل تكسو من يؤاخيه خمولا

وفي معرض حثه الفرد على العيش عزيزا يستعير للنوائب ثوبا من الخزي تلبسه لمن يرضى يعيش الذل : (118)

من عز كانت له الايام خادمة تريه اماله في كل ماحين
ومن يهن اولغت فيه المدى وارت له النوائب في اثوابها الجون

ويستعير لرثاء الفضائل التي فارقت زمان الشاعر حركة الرياح ، فركودها بعد الهبوب يمثل موت الفضائل بعد حياتها في الناس : (119)

زمن الفضائل قد مضى لسبيله ولوى بطيب العيش وشك رحيله

ركدت رياح الجد بعد هبوبها وعلا فريق الهزل بعد خموله

ويجعل _ في موضع اخر _ من الخلاف جسما ماديا يركب ، من خلال توجيهه الناس ونصحهم بعدم الانجرار وراء الخلافات وركوبها لما تخلفه من ماسي ، وضرورة الدفع نحو التوافق لما فيه من السلامة والامان :(120)

وافق الناس ان اردت السلامة ان روح الوفاق روح كرامة

من يوافق يعش هنيئا قريرا امنا من اذية وملامة

فتوق الخلاف واحذر اذاه فركوب الخلاف عمدا ندامة

لقد وجد شاعرنا في الاستعارة قدرة على نقل نصائحه وافكاره ، فاغناها بخيالاته التي زادتها جمالا وايحاء، من خلال تجسيمه للخمول بالانسان والنوائب للثوب والفضائل للرياح والخلاف بالجسم المركوب باشياء ملموسة .

وخاتمة لبحثنا نقول : ان الشعر حين لايغلف معانيه الخيال ولا يسعف تجربته الرمز يصبح شيئا قريبا من النثرية ، مرتبطا بالتقريرية والمباشرة ، وحينئذ تبتعد الشاعرية عن مجالها الحقيقي الرحب . وهذا التعبير المباشر ليس خاصا بالدلالة الوضعية وانما يتجاوزها الى الاساليب البيانية التي تتفاوت مستوياتها (فمن الفاظ اللغة طائفة مهمتها ان تنقل الافكار بين الناس ، ثم تقف عند هذا الحد ولا تعدوه) (121) ، فتعد من ابسط الاساليب الفنية البيانية ، فمن العبارات ماهي اكثر فنية في التعبير من عبارات اخرى والصق بالمعنى ، واكثر تمثيلا له امام العيون وهنا تكمن ادبية النص بين ما هو متميز ، وبين ماهو تقريري مباشر ، فقد يتدنى التعبير المجازي الى ان يقرب من التقريرية والمباشرة ، ومما ذكرناه عن المقطوعة اكدنا على ضرورة توشحها بوشاح البساطة والسهولة وامتيازها بعدم التعقيد فيما يعبر عنه الشاعر ، وللشاعر _ اي شاعر _ اسبابه في اتخاذ هذا النوع من البناء الفني لشعره ؛ وهو ايمانه بقدرة هذا البناء على ايصاله الى ما يريد بطريق واضح لاعراقيل فيه . والشعر الذي نحن بصدده دراسته يسعى لاداء رسالته في تهذيب الاخلاق ، من خلال الدعوة لافضل سلوك انساني ينظم العلاقة بين افراد المجتمع الواحد من خلال تبني شاعرنا المثل الاخلاقية بمجموعة

نصائح بثها في تضاعيف شعره ، وكان الهدف منها السعي الى كمال الحياة ، وما دام يسعى نحو هذا الهدف فلا بد من تبني المخطط الاخلاقي الذي يصل منه الى الفضيلة والسعادة ويوصل قيم هذا المخطط بطريقة مباشرة ، وفي هذه الاشعار النصحية استخدم ابن ليون هذه التقريرية والمباشرة وتلك الاساليب البيانية البسيطة فكانت عباراته مباشرة غير موحية ، لاغموض فيها ، ولا احتمال للتاويل ؛ كي تصل الى العامة والخاصة ، ويفهمها غير المثقفين قبل المثقفين ، ويتناولها صغار القوم قبل كبارهم ، ويهضمها ضعاف الادراك قبل اقويائه ، وبالتالي يعيها افراد المجتمع بمختلف طبقاته وتنوع مستوياته وتباعد ازمانه ؛ ليؤثر فيهم ، فترق طباعهم وتحسن اخلاقهم ويتغير نحو الاحسن وضعهم .

وعليه فتحكم نزعة النصيحة في اشعار ابن ليون باسلوبها التقريري المباشر وبنائها على شكل مقطعات ، وما استتبعه من استخدام الاساليب البيانية البسيطة ؛ ادى _ في اغلبه الاعم _ الى جفاف الحس ونضوب العاطفة ، مما جعل النصوص تفقد التوتر النفسي والتفجر العاطفي فاحالها الى نظم بارد لاروح فيه . والشاعر ابن ليون وان ابتعد عن الفنية الادبية في التعبير والتي جعلت شعره في عداد المسلمات ؛ الا ان العذر له موجود ، فالشاعر اتخذ من الكلمة وسيلة لخدمة اهداف عامة ، وانشغل بما هو اهم من الصورة الخلاقة والعاطفة الجياشة ، وسط مجتمع مضطرب ، وجد في الشاعر _ وامثاله _ ملاذا يرود له السبل الاخلاقية ، الى حيث الطمانينة والاستقرار . ولعل ادبية اشعاره النصحية تكمن في انتهاجه لهذا الاسلوب السهل بعباراته التقريرية المباشرة ، والذي يتلائم مع الغرض الاخلاقي المراد ايصاله الى المتلقي بمختلف مستوياته الفكرية والثقافية والاجتماعية.

الهوامش

(*) هو الفقيه العالم الشاعر سعد بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن ليون التجيبي الاندلسي ، كنيته ابو عثمان ، اصله من لورقة ، ولد في المرية عام 681ه ، ومات فيها سنة 750ه بمرض الطاعون . كان من الزهاد الورعين المبتعدين عما في ايدي الناس عفة مع علم وفير ؛ جعل فضلاء الناس واخيارهم يقصدونه للانتفاع من علمه . له عدة تصانيف في المنظوم والمنثور تزيد على الثلاثين ، توزعت مضانها مابين علم الفرائض والحديث والعروض .

ينظر : نفح الطيب ، المقري ، تح : احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1968، 543/5

نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، احمد بابا التنبكي ، تح : علي عمر ، ط1 ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، 2004 ، 1/ 201

1/ الاتجاه الاخلاقي في الاسلام ، مقداد يالجن ، القاهرة، مكتبة الخانجي ،1974،ص 47

2/ تعظيم قدرة الصلاة ، محمد بن نصر المروزي ، تح : عبد الرحمن بن عبد الجبار ، ط1 مكتبة الدار ، 1406ه، ص 35

3/ مسند احمد ، احمد بن حنبل ، تح: شعيب الارنؤوط واخرون ، ط1، بيروت ، مؤسسة الرسالة 1996، رقم الحديث 743.

(*) كانت لعدالته ونزاهته وسيرته المشكورة فضل في توكيل قضاة بلده المرية له في الاستبانه عنهم في الاحكام الشرعية والنوازل الحكيمة .

ينظر : نيل الابتهاج ،201/1

4/ الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث للهجرة ، احمد عبد الستار الجواري ، بيروت ، دار الكشاف ، 1956، ص 255

5/ قواعد النقد الادبي ، كرومبي ، ترجمة : محمد عوض ، ط3، القاهرة ، 1954، ص37

6/ لباب الادب ، اسامه بن منقذ ، تح: احمد شاكر ، القاهرة ، المكتبة العصرية ، 1987، ص1

7/ ادب الوصايا في الشعر الجاهلي ، سهام الفريح ، مجلة البيان ، ع 208، س1983، ص27

8/ ينظر : لسان العرب ، مادة (رفق)

9/ احياء علوم الدين ، الغزالي ، ط1، مصر ، المطبعة العثمانية المصرية ، 1933، 3/ 185

10/ دواوين شعرية لشعراء اندلسيين _ ابن الابار وابي عامر مسلمه وابي بكر بن القوطية وابن ليون التجيبي _ ، تح : هدى شوكت بهنام ، ط1، الاردن ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، 2012 ص191

11/ م.ن ، ص186

12/ م.ن ، ص193

13/ م.ن ، ص 191

14/ م.ن ، 202

15/ ينظر : مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، ابن القيم الجوزية ، تح : محمد حامد الفقي ، ط2، لبنان ، دار الكتاب العربي ، 1973،ص152

16/ احياء علوم الدين ، الغزالي ، المطبعة العثمانية المصرية ، 1933، ص54

17/ دواوين شعرية ، ص201

18/ م.ن ،ص238

19/ م.ن، ص276

20/ م.ن ، ص 201

21/ م.ن ، ص 187

22/ م.ن ، ص 221–222
23/ ينظر : مدارج السالكين ، ص 198
24/ م.ن
25/ دواوين شعرية / ص246
26/ م.ن ، ص253
27/ م.ن ، ص262
28/ م.ن ، ص255–256
29/ م.ن، ص274–275
30/ صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار احياء التراث العربي ، 1972 ، رقم الحديث 2765
31/ احياء علوم الدين ، ص 292
32/ دواوين شعرية ، ص 241
33/ م.ن ، ص 223
34/ م.ن ، ص 190
35/ م.ن ، ص 230
36/ ينظر : السلوك الاجتماعي في الاسلام ، حسن ايوب ، ط4، لبنان ، دار الندوة الجديدة 1983 ، ص 52
37/ صحيح مسلم ، رقم الحديث 1215
38/ دواوين شعرية ، ص 284
39/ م.ن ، ص 293
40/ م.ن ، ص 203
41/ م.ن ، ص 254
42/ م.ن ، ص 257
43/ م.ن ، ص 207
44/ صحيح مسلم ، رقم الحديث 534
45/ قسم ارسطو الصداقة الى انواع ثلاث : صداقة المنفعة وهي صداقة عرضية تنقطع بانقطاع الفائدة ، وصداقة اللذه التي تنعقد وتحل بسهولة بعد اشباع اللذه اوتغير طبيعتها ، وصداقة الفضيلة وهي افضل صداقة وتقوم على اساس تشابه الفضيلة .
ينظر : علم الاخلاق ، ارسطو ،تح: احمد لطفي السيد ، ط1، الهياة المصرية العامة للكتاب 2008 ، 75
46/ دواوين شعرية ، ص198
47/ م.ن ، ص246–247
48/ م.ن ، ص 221

49 / م.ن ، ص 192

50/ م.ن ، ص 212

51/ احياء علوم الدين ، ص125

52/ دواوين شعرية ، ص 291–292

53/ م.ن ، ص 207

54/ م.ن ، ص 184

55/ م.ن ، ص 232

(*) يمكن تصنيف الرئاسة الى صنفين : رئاسة الحق : يطلبها من له الاهلية الى ذلك ، وهدفه هداية الخلق وتعليم الناس ، والحفاظ على اموال العامة والخاصة .

ورئاسة الباطل : يطلبها من ليس له هدف الا الشهرة وتحصيل المال وهذا فعل المبتلين بالصفة الاخلاقية الرذيلة حب الجاه والسلطة .

56/ دواوين شعرية ، ص 281

57/ م.ن ، ص188

58/ م.ن، ص215–216

59/ م.ن ، ص255

60/ م.ن ، ص 244

61/ م.ن ، ص 184

62/ م.ن ، ص245

63/ م.ن ، ص 273

64/ النظرية البنائية في النقد الادبي ، صلاح فضل ، ط1 ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1985 ص 371

65/ سنعتمد على راي ابن رشيق القيرواني الذي يرى ان القصيدة هي التي تتالف من سبعة ابيات وما دونها مقطوعة . وهذا الراي يعززه راي عروضي يرى ان الايطاء لايكون اذا جاء بعد البيت السابع ، وهذا يعني ان القصيدة هي ما بلغت سبعة ابيات فما فوق . على الرغم من اختلاف النقاد في عدد ابيات القصيدة .

ينظر : العمدة ، القيرواني ، تح : محمد عبد القادر احمد عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية 2001 ، 1 / 197

66/ م.ن ، ص 1 / 196

67/ م.ن

68/ الصناعتين ، العسكري ، تح: علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي وشركائه ، 1971 ، ص 179 – 180

69/ م.ن ، ص 180

70/ م.ن

71/ في الشعر العباسي _الرؤية والفن _ ، عز الدين اسماعيل ، مصر ، دار المعارف ، 1980 ص 416

72/ القصيدة الاندلسية خلال ق 8 ه ، عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط1، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، 1996 ، 90/2

(*) اعتمدنا في هذا العدد على مجموعه الشعري الوارد في كتاب مجاميع شعرية للدكتورة هدى شوكت بهنام .

73/ دلائل الاعجاز ، الجرجاني ، تح: محمد عبد المنعم خفاجي ، ط1 ، ، مكتبة القاهرة 1996 ، ص 361

74/ قضايا الادب العربي ومظاهر التفكير في الاسلوب ، محمد الهادي الطرابلسي ، تونس مركز الابحاث الاقتصادية والاجتماعية ، 1978 ، ص 280

75/ البلاغة العربية ، احمد مطلوب ، ط1 ، بغداد ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 1980 ، ص 87

76 / الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، بيروت دار الكتب العلمية ، 1981، 3/ 282

77/ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، احمد الهاشمي ، ط12، لبنان ، 1960 ، ص 77-78

78/ البلاغة العربية قراءة اخرى ، محمد عبد المطلب ، ط1 ، الشركة المصرية العامة للنشر _ لونجمان ، 1997 ، ص 293

79/ البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، بكري شيخ امين ، ط1، دار العلم للملايين ، 1979، 1/ 103

80/ دواوين شعرية ، ص 194

81/ م.ن ، ص 197

82/ م.ن ، ص 202

83/ م.ن ، ص 200

84/ م.ن ، ص 231

85/ م.ن ، ص 287

86/ م.ن ، ص 216

87/ الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، القاهرة 1914 ، 3/ 285

88/ البلاغة والتطبيق ، كامل حسن البصير واحمد مطلوب ، ط2 ، مطابع بيروت الحديثة لبنان ، 1990 ، ص 128

89/ ينظر : الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، د.ت ، ص 145

90/ دواوين شعرية ، ص 187
91/ م.ن ، ص 208
92/ م.ن ، ص 183
93/ م.ن ، ص 205
94/ البلاغة والتطبيق ، ص 131
95/ الايضاح في علوم البلاغة ، ص 81
96/ دواوين شعرية ، ص 239
97/ م.ن ، ص 291
98/ م.ن ، ص 189
99/ دواوين شعرية ، ص 277– 278
100/ ينظر اغلب هذه التعريفات في مراجعة الدكتور عناد غزوان ومقدمة المحققين لكتاب الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، ترجمة : احمد نصيف الجنابي واخرون ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، 1982
101/ الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، احمد علي دهمان ، ط1 ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، 1986 ، 1/ 376
102/ الصورة في الشعر العربي حتى اخر ق 2ه – دراسة في اصولها وتطورها –، علي البطل ط1 ، بيروت ، دار الاندلس ، 1980 ، ص 30
103 / ينظر : فنون بلاغية ، احمد مطلوب ، ط1 ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، 1975 ص 27
104 / ينظر : فن التشبيه ، علي الجندي ، القاهرة ، مكتبة الانجلو ، د.ت، 1/ 43
105/ جواهر البلاغة ، ص 215
106/ م.ن
107/ م.ن ، ص 216
108/ م.ن
109/ م.ن ، ص 218
110/ م.ن ، ص 240
111/ م.ن ، ص 217
112/ م.ن ، ص 258
113/ جواهر البلاغة ، ص 247. كقول الشاعر :

اذا المنيه انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لاتنفع

استعار الشاعر هنا السبع للمنية ، وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهي الاظفار .
114/ اسرار البلاغة ، الجرجاني ، تح : سعيد محمد اللحام ، ط1 ، بيروت ، دار الفكر العربي 1999 ، ص 22

115/ جواهر البلاغة ، ص 238
116/ النظرية البنائية في النقد الادبي ، ص 358
117/ دواوين شعرية ، ص 261
118/ م.ن ، ص 286
119/ م.ن ، ص 268
120/ م.ن ، ص 273
121/ فنون الادب ، ه .ب تشارلتن ، ترجمة : زكي نجيب ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة 1945 ، ص 4

مصادر البحث ومراجعه

_ القران الكريم

1- الاتجاه الاخلاقي في الاسلام ، مقداد يالجن ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1974.
2- احياء علوم الدين ، الغزالي ، ط1 ، مصر ، المطبعة العثمانية المصرية ، 1933.
3- ادب الوصايا في الشعر الجاهلي ، سهام الفريح ، مجلة البيان ، ع 208، س1983.
4- اسرار البلاغة ، الجرجاني ، تح : سعيد محمد اللحام ، ط 1 ، بيروت ، دار الفكر العربي 1999 .
5- الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ، د.ت .
6- البلاغة العربية ، احمد مطلوب ، ط1 ، بغداد ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 1980
7- البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، بكري شيخ امين ، ط1، دار العلم للملايين ، 1979.
8- البلاغة العربية قراءة اخرى ، محمد عبد المطلب ، ط1، الشركة المصرية العامة للنشر _ لونجمان ، 1997.
9- البلاغة والتطبيق ، كامل حسن البصير واحمد مطلوب ، ط2، مطابع بيروت الحديثة لبنان ، 1990.
10- تعظيم قدرة الصلاة ، محمد بن نصر المروزي ، تح : عبد الرحمن الجبار ، ط1، مكتبة الدار 1406ه
11- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، احمد الهاشمي ، ط12 ، لبنان ، 1960 .

12- دلائل الاعجاز ، الجرجاني ، تح محمد عبد المنعم خفاجي ، ط1 ، مكتبة القاهرة 1996.

13- دواوين شعرية لشعراء اندلسيين _ ابن الانبار وابي عامر مسلمه وابي بكر بن القوطية وابن ليون التجيبي _ ، تح : هدى شوكت بهنام ، ط1 ، الاردن ، دار غيداء للنشر والتوزيع 2012.

14- السلوك الاجتماعي في الاسلام ، حسن ايوب ، ط 4 ، لبنان ، دار الندوة الجديدة 1983 .

15- الشعر في بغداد حتى نهاية ق 3 ه ، احمد عبد الستار الجواري ، بيروت ، دار الكشاف 1956 .

16- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار احياء التراث العلمي ، 1972 .

17- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، علي دهمان ، ط 1 ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، 1986 .

18- الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، ترجمة : احمد نصيف الجنابي واخرون ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، 1982 .

19- الصورة في الشعر العربي حتى اخر ق 2 ه – دراسة في اصولها وتطورها – ، علي البطل ، ط 1 ، بيروت ، دار الاندلس ، 1980 .

20- الصناعتيين ، العسكري ، تح : علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى الحلبي وشركائه ، 1971

21- الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، بيروت دار الكتب العلمية ، 1981

22- علم الاخلاق ، ارسطو ، تح : احمد لطفي السيد ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، 2008

23- العمدة ، القيرواني ، تح : محمد عبد القادر احمد عطا ، بيروت ، دار الكتب العلمية 2001 .

24- فن التشبيه ، علي الجندي ، القاهرة ، مكتبة الانجلو ، د . ت .

25- فنون الادب ، ه . تشارلتن ، ترجمة : زكي نجيب ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة 1945 .

26- فنون بلاغية ، احمد مطلوب ، ط 1 ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، 1975 .

27- في الشعر العباسي – الرؤية و الفن – ، عز الدين اسماعيل ، مصر ، دار المعارف 1980 .
28- القصيدة الاندلسية خلال ق 8 ه ، عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط 1 ، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية ، 1996 .
29- قضايا الادب العربي ومظاهر التفكير في الاسلوب ، محمد الهادي الطرابلسي ، تونس مركز الابحاث الاقتصادية و الاجتماعية ، 1978
30- قواعد النقد الادبي ، كرومبي ، ترجمة : محمد عوض ، ط 3 ، القاهرة ، 1954.
31- لسان العرب ، ابن منظور ، ط 3 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، د . ت .
32- لباب الادب ، اسامة بن منقذ ، تح : احمد شاكر ، القاهرة ، المكتبة العصرية 1987 .
33- مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، ابن القيم الجوزية ، تح : محمد حامد الفقي ، ط 2 ، لبنان ، دار الكتاب العربي ، 1973 .
34- مسند احمد ، احمد بن حنبل ، تح : شعيب الارنؤوط واخرون ، ط 1 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1966 .
35- النظرية البنائية في النقد الادبي ، صلاح فضل ، ط 1 ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1985
36- نفح الطيب ، المقري ، تح : احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1968 .
37- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، احمد بابا التنبكي ، تح : علي عمر ، ط 1 ، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية ، 2004 .